

فقه الحديث

التذرع بحديث «أنتم شهداء الله في أرضه» للطعن في أعراض الناس

السؤال: حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «أنتم شهداء الله في أرضه» اتخذ بعض الناس للنيل من أعراض الآخرين والكذب عليهم والحط من قدرهم فما توجيهكم؟

الجواب: لما مرَّ على النبي -عليه الصلاة والسلام- بجنائز فأتوا عليها خيراً فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «وَجِبَتْ وَجِبَتْ» ثم مرَّ بجنائز أخرى فأتوا عليها شراً فقال -عليه الصلاة والسلام-: «وَجِبَتْ وَجِبَتْ»، ثم قيل له: ما وجبت وجبت؟ قال: «هذا أثنتم عليه خيراً، فوجب له الجنة، وهذا أثنتم عليه شراً، فوجب له النار، أنتم شهداء الله في الأرض» [البخاري: ١٣٦٧/ ومسلم: ٩٤٩]، هذا إذا كان القصد منه بيان الواقع للإنسان لاسيما من يُخشى منه الضرر فهذا يُتكلَّم فيه بما يستحقه؛ لئلا يتعدى ضرره ومخالفته وبدعته إلى الناس، وإلا فالأصل النهي عن إبداء مساوئ الأموات، «اذكروا محاسن موتاكم، وكفُّوا عن مساوئهم» [أبو داود: ٤٩٠٠]، أما من يُخشى تعدي شره وبدعته فلا مانع من تبيينه كما بيَّن العلماء أحوال الرواة جرحاً وتعديلاً، فمثل هذا من باب النصيحة، لكن يتقي الله -جل وعلا- من يتصدى لهذا الأمر ويسأل نفسه: هل الحاجة داعية إلى مثل هذا الكلام؟ هل لا يسعه السكوت في مثل هذا؟ وإذا أمكن بيان الحكم متعلقاً بالوصف أغنى عن بيان الحكم المتعلق بالشخص، إنما تُذكر الأوصاف، وتُذم الأوصاف المذمومة من الشرع وتُمدح الأوصاف المدحوة، ولا يُتعرض للأشخاص بأعيانهم اللهم إلا إذا لم يتم البيان إلا بذكر الشخص الذي يُخشى من ضرره المتعدي فحينئذٍ أهل العلم فعلوا ذلك، والنبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «بئس أخو العشيرة» [البخاري: ٦٠٣٢]، المقصود أن مثل هذا لا يُتخذ ذريعةً ويُتوسع فيه ويُسترسل فيه فيُقدح في من في قدحه مصلحة ومن لا مصلحة من جراه قدحه، فلا شك أن أعراض المسلمين محفوظة، كما قال ابن دقيق العيد: (أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها العلماء والحكام)؛ لأنهم هم الذين يحتاجون في الغالب للكلام في الناس، فعليهم أن يحتاطوا لهذه الأعراض، هذا فهم لبعض أهل العلم لمثل هذا الكلام، ومنهم من يقول: إنهم هم أكثر من يتكلم فيهم الناس، فهم يقفون على شفير هذه الحفرة يدفعون من يتكلم فيهم في هذه الحفرة، والله المستعان.

على كل حال الغيبة محرمة، وأشدُّ منها النميمة، وأكل لحوم المسلمين لا شك أنه من عظام الأمور ومن الكبائر التي جاء الوعيد عليها.

المصدر: برنامج فتاوى نور على الدرب، الحلقة التاسعة والأربعون ١٤٣٢/٩/٢٧ هـ